

وإن تلك الغواشي كانت كثيفة إلى درجة أن وقع بعض كبار المفسرين في أغلاط بسببها، وإذا كان العابثون بالديانات السماوية قد حرقوا الكلم عن مواضعه في بعضها، فأنهم قد عجزوا عن ذلك في القرآن، لأن الله حفظه، ولأنه بأسلوبه فوق تحريف المحرفين، وأي كلام يلحق به يبدو بادي الرأي ميمزاً، ولم يحاول أحد ذلك لعجزه ابتداء، وقد حفظ متواتراً في الصدور لا في السطور فلا سبيل لمحرف أن يصل إليه، ولكن أولئك جاءوه من تلك الإسرائيليات ليشوهوا جماله، ومع ذلك جعل الله في كل عصر من أئمة الحق من يرد زيفهم، وكان من أبرزهم في العصر الحديث الأستاذ الإمام. ولقد كان الإمام يقرأ ما يقرأ حتى أنه كان يقرأ نحو خمسة وعشرين تفسيراً ما بين مطبوع ومخطوط، ولكنه يستعين بمجموعها، إلى لباب المعنى، لا لينقل ما فيها، أو يتبه فيما يقرأ.

وكان يتخذ من منبر القرآن طريقاً لبيان البدع والأوهام، وما فرق أمر المسلمين بعد الإجماع، ويوضح الفرقة الفكرية والسبيل إلى تلافئها، بالاجتماع على مائدة القرآن والأخذ من ورده الصفي، وعلمه النقي، ولقد تكونت مدرسة من العلماء والمثقفين تطلب علم الإمام وترويه وتنشره، ومن أقوى هذه المدارس تأثراً بالإمام السيد رشيد رضا، فقد حاول في تفسير المنار حكاية طريقة الشيخ، ولكن طريقة الإمام كانت طاقة نفسية، وليست منهاجاً فقط، ولذلك لا نجد في الأجزاء التي أتمها السيد رشيد رضا التغلغل الذي كنا نراه في المنقول عن الإمام. ولكن تفسير المنار قد اشتمل على أمرين لم يكونا في تفسير الإمام محمد عبده.

أولهما: العناية بدعم التفسير بالمأثور عن النبي ﷺ وذلك بلا ريب خير كله.

وثانيهما: النقل الكثير عن المفسرين، وأن السبب في ذلك أن الإمام كان يلقي درساً، فكان يلقي ما تمثل في عقله وقلبه مما قرأ وتأمل وتدبر في القرآن، ولأن كل همة نفسه كانت متجهة إلى لباب القرآن.

قال السيد رشيد رضا في مقدمة تفسير المنار: «هذا وإنني لما استقلت بالعمل بعد وفاته، خالفت منهجه رحمه الله بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء